العربية بين اللغات السامية

أ. د. صالح حيدرعلي الجميلي

قسم اللغة العربية - كلية الامام الأعظم

الملخص

إن البحث الموسم اللغة العربية بين اللغات السامية يبين أصل تسمية اللغات السامية وأسباب تسميتها، والعلاقة بين هذه اللغات، ومكانة اللغة العربية ورقيها وتفوقها عليها وأسباب هذا التفوق، وصفاتها وفضل القرآن الكريم في هذا التفوق وحفظه لها وانتشارها، وتعدد مواردها الذي ساعدها لتكون أول لغة بين لغات العالم.

كذلك مر البحث على تسمية اللغات السامية بالجزيرة نسبة إلى الجزيرة العربية وماحولها وهي التسمية الملائمة لهذه اللغات بعيدا عن التعصب الديني والعنصرية الذي كان له أثرا بالغا في التسمية الأولى.

وتطرق البحث إلى اللهجات المتعددة للغة العربية التي منها كانت لغة القرآن الكريم واللغة الفصحى التي كان للهجة قريش الأثر الكبير فيها وليست هي الجهة الوحيدة

وبينت الخاتمة ونتائج البحث أن العربية لغة حية أثرت وتأثرت بماحولها وأثرها واضح في غيرها؛ لأنها لغة القرآن والعبادات، وتعدد مصادرها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشعر والأمثال العربية والحكم.

وتبقى العربية شامخة بشموخ القرآن الكريم والدين الحنيف على من كل المؤامرات والدسائس؛ لأن الله تعهد بحفظها حفاظا على القرآن الكريم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلّم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين .

God is most merciful.

The study of the season of the Arabic language among the Semitic languages shows the origin of naming the Semitic languages, the reasons for their naming, the relationship between these languages, the position of the Arabic language and its superiority, the reasons for this supremacy, its qualities and the virtue of the Holy Qur'an in this superiority, its preservation and spread of the Holy Qur'an and the multiplicity of its resources, which made it the first language among the world's languages.

The research was also conducted on naming the Semitic languages of the island in relation to the Arabian Peninsula and its surroundings, which is the appropriate name for these languages, away from religious fanaticism and racism that had a profound impact on God the Merciful*

المقدمة

الحمد لله الذي جعل كتابه منزلا باللسان العربي المبين، فشرف العربية والعرب بذلك أحسن تشريف، ثم الصلاة والسلام على أفصح من نطق بها سيد أسياد البلاد، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، آمين .

أما بعد؛ فالعربية متميزة بين اللغات بكثرة القواعد ،وتشعب الآراء ،وطول حبالها واختلاف لهجاتها، واختلاف المعاني باختلاف العوامل و السياقات ؛ لذلك احتاجت إلى أفذاذ العقول وأحبار الخواص لتفهم كل ذاك و استنباط درر المعاني وأحكام النصوص ولا سيما الخاصة المقدسة، وتتميز كذلك بأنها حفظت نفسها بنفسها، فحفظت القواعد بحفظ الكلام العربي ولا سيما القرآن الكريم والشعر، والنصوص التي حفظت قواعدها .

وحفاظا على القرآن الكريم، ولأجل إفهام معانيه واستنباط أحكام الشريعة منه صار العلماء المتقدمون يبحثون في كل فجّ عن كل التفاتة، فصاروا إلى القرآن الكريم والشعر فضلا عن الأمثال والحكم .

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في تأريخ هذه اللغة التي حفظها الله تعالى من الضياع بحفظ كتابه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر الآية ٩] فبدأت الدراسات الدراسة تلو الدراسة حتى وصل الأمر العهد والحفظ إلى علماء هذا العصر فصارت اللغة لا تشغل عقول أصحابها فحسب بل تعدَّت إلى عقول أصحاب لغات أخرى، وهم المستشرقون، فصاروا يفتشون عن أصولها وأحوالها وعلاقتها مع غيرها حتى صنِّفَتْ عندهم في حقل الدراسات السامية التي أطلق عليها بعضهم اسم اللغات الجزرية .

ولرغبتي أن أخدم هذه اللغة الشريفة تكوَّنت لديَّ فكرة لكتابة بحث يخص لغتنا العربية بما إنمازت به من صفات جعلتها مقدمة على كثير من اللغات ولا سيما أخواتها الساميات، فوقع البحث في أربعة مباحث .

- **ذكرت في المبحث الأول :**
  - أقدم اللغات السامية .
  - أقسام اللغات السامية .
  - ما تبقَّى من اللغات السامية .
  - القرابة بين اللغات السامية .
- **وذكرت في المبحث الثاني :**
  - خصائص اللغات السامية .

- خصائص اللغة العربية .

- **وذكرت في المبحث الثالث :**

- المراكز التي تبلورت فيها العربية .
- أفصح اللهجات العربية .
- أسباب انتشار اللغة العربية .

- **أما المبحث الرابع فكان لـ:**

- المصادر التي ترشدنا إلى البقية الباقية من اللهجات العربية .
- مظاهر اختلاف اللهجات .
- مصادر اللغة العربية الأساسية .

وقبل هذا يأتي **التمهيد**، وبعد المباحث تأتي **الخاتمة** وفيها أهم النتائج، أرجو من الله أن يقبل هذا العمل خدمة للعربية لغة القرآن وينفع به طلبة العلم ومحبي لغتنا لغة القرآن. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين. وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى الأمين.

التمهيد

إنّ اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ يطلق عليها العربية الفصحى، وهي خليط من لهجات العرب ولغاتهم ،وتفاوتت هذه اللهجات في الاستعمال القرآني بين كثيرة وقليلة، وأخرى لم تستعمل في القرآن الكريم وبقيت من تراث العربية في المعاجم والشعر وهي فروع من هذه اللهجات الكبيرة، وكلاهما فرع من مجموعة لغات[١] استهوت المستشرقين لأن يدرسوها، وهي تتناول بالدرس والتحليل اللغات كلها التي يزجها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية، بقطع النظر عن أنها لغة حيَّة منطوقة أو لغة ميتة مكتوبة لا وجود لحياتها في هذا العصر.

ولا بدَّ من الوقوف على هذه التسمية، فهي بُنِيَت على أساس غير علمي مرتبط باعتبارات سياسية لا تخدم الأمة العربية في الأزمنة كلها، ولا سيما مستقبلها[٢]،

ونظرة جغرافية آنية وقت التقسيم الدولي لهذه اللغات فحسب، لذلك جُعِلَ العيلاميون واللوديون من أبناء سام، لأنهما كانا في رعايا الدولة الآشورية، وعلى الرغم من أنه لا توجد بين هذين الشعبين صلة قرابة، ولا بينهما وبين الآشوريين من ناحية ثانية، وجُعِل الفينقيون من أبناء حام على الرغم من أنهم أقرب الشعوب إلى العبرانيين[٣].

وأول من أطلق هذه التسمية (شلوتزر) الألماني في أبحاثه وتحقيقاته في تأريخ الأمم ١٧٨١ م، وقد استخلص التسمية هذه من سفر التكوين من الجدول الخاص بأولاد نوح (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) سام، وحام، ويافَث، وقد وردت في العهد القديم[٤] حيث يُرْجع هذا الجدول الشعوب التي عمرت الأرض بعد الطوفان إلى أولاد نوح الثلاثة[٥] وفي هذا الارجاع نظر؛ إذ إن الحقيقة القرآنية تثبت خلاف ذلك؛ لأن السفينة الناجية لم تكن تحمل أولاد نوح الثلاثة وأباهم (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) فحسب،

---

(١) ينظر: اللهجات العربية الغربية ١٧ .

(٢) ينظر: فقه اللغة د حاتم الضامن ٢٤

(٣) ينظر: فصول في فقه اللغة ٢١، وفقه اللغات السامية بروكلمان ١١ .

(٤) ينظر : الاصحاح العاشر من سفر التكوين ١/١١، وتاريخ اللغات السامية ٢، وفصول في فقه اللغة ٢١، وفقه اللغة العربية ٦٧ .

(٥) ينظر: فصول في فقه اللغة ٢١، ودراسات في فقه اللغة ٤٨ .

بل كان على متنها نفر من الذين آمنوا معه، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ [هُود الآية ٤٠] ، وقد قيل : إنّ عددهم كان يربو على السبعين، وكانوا رجالا ونساء[١]، وربما كان من بينهم أسر كاملة، فأين سلالات أولئك النفر؟ ! اللهم إلا إذا قلنا كل واحد من أبناء نوح (عليه السلام) أخذ معه فئة من الناس حُسِبوا عليه، وكذلك أن القرآن لم يبين عدد أولاد نوح (عليه السلام) وإن كان لا تعارض في هذا وما ذكر، والله أعلم .

لقد ذهب الأستاذ طه باقر إلى تسمَّية هذه المجموعة من اللغات باللغات الجزرية ؛ لأن الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الاقوام الذين شملتهم تسمية السامية، وهي حقيقة ذهب إليها أكثر الباحثين[٢] .

أما شلوتزر فقد رأى أن هذه التسمية تنطبق على العرب والعبريين والأحباش ؛ لوجود صلات قرابة بين لغاتهم أولا ؛ ولأن جدول الشعوب يرجعهم إلى سام ابن نوح، وتقوم دراسة الساميات على المقارنة بين اللغات السامية ومعرفة ميزات كل لغة وما بينها وبين اللغات الأخرى من فروق أو تطابق أو تشابه اعتمادا على ما عُثِرَ عليه من نصوص تارة، وعلى آثار اللغويين العرب واللغة العربية بلهجاتها تارة أخرى[٣] .

وهذه الأسس اتُّبِعَتْ كذلك في دراسة اللهجات العربية القديمة، قال رابين : ((نحن لا نستطيع رؤية اللهجات العربية الغربية إلا من خلال العربية الفصحى التي يستعملها أصحاب هذه اللهجات))[٤]، وقال في موضع ثانٍ : ((وفي هذه المرحلة لا نستطيع التعرف على البقايا العربية الغربية إلا بمساعدة ما ذكره علماء اللغة العربية القدامى))[٥] .

فدراسة اللغات بالاعتماد على غيرها قد يحلُّ الكثير من المشاكلات ويوصل إلى نتائج قد تكون جديدة لم يُسْبَق إليها .

ولا بد أن ننشير إلى أن علماء العربية القدامى كانوا قد اطلعوا على هذه اللغات السامية وأشاروا إليها[٦]، لكنهم لم يولوها الأهمية الكبرى والعناية الفائقة ؛ بسبب انشغالهم بالعربية الام حفاظا عليها، لأنها لغة القرآن ولغة الدين وبالعناية بها وبالانشغال عمن سواها يتقربون إلى الله تعالى .

---

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي م ٩ / ج ١٧ /ص ٢٣٦، وتفسير البيضاوي م١ / ٤٥٧ .

(٢) ينظر: من تراثنا اللغوي القديم ١٧، وفقه اللغة العربية ٦٧-٦٩، وفقه اللغة د علي وافي ٧، ودراسات في فقه اللغة ٤٨٧ .

(٣) ينظر: اللغات السامية في مجال علم اللغات محمد سليم رشدان، مجلة اللسان العربي ص ٤٥، لسنة ١٩٧٠ م .

(٤) اللهجات العربية ٢٦ .

(٥) نفسه ٢٦ .

(٦) ينظر مثلا: حاشية الشيخ زادة ٢/ ٤٠ .

المبحث الأول

- **أوَّلًا / أقدم اللغات السامية**

لعلماء اللغة في أقدم لغات السامية آراء مختلفة ، بني بعضها على أساس عقدي ديني، وآخر نفسي، فتعصب كلٌّ للغته التي ينتمي إليها أو التي جاء دينه ومعتقده بها، وحملهم هذا التقديس على أن يفضلها على غيرها من اللغات ؛ لذا اعتقد كل فريق بأنَّ هذه اللغة (القومية أو الدينية) هي الأصل لجميع اللغات وهي أقدمها .

١. وللمستشرقين آراء في أقدم اللغات السامية، فذهب هاوزن إلى أنَّ المصدر لهذه اللغات هو السامية الأولى ((التي نَطَقَ بها في أعماق الدهر أقوام زالت بزوالهم وفُنِيت بفنائهم، وبقيت منها ظلال ورسوم، يلمحها الرائي على ألسنة أحفاد أولئك الأقوام الذين تنوَّعت ألسنتهم باختلاف مواطنهم في الشمال والجنوب))[١] .

٢. وذهب آخرون إلى أنَّ اللغة العبريَّة هي الأصل، وأنها هي لغة الانسان الأول[٢]، جاء في مولد اللغة ((وادعى العبرانيون أن العبرانية هي الأولى وأنها لغة الانسان الأولى ؛ لأن أسماء الأنبياء الأولين وآباء البشر عبرانية، وفي ذلك دليل على أنها كانت لغةً لهم))[٣] .

٣. واعتقد قوم أن الآرامية هي المقدمة، جاعليها اللغة الأم التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الأصلية أكثر من اجتماعها في أي لغة أخرى ؛ ولهذا استحقَّت برأيهم التقدير والتكريم .

٤. وذهب آخرون إلى أنَّ العربية هي الأم فاستحقت التقديم ؛ لمحافظتها أكثر من غيرها من اللغات السامية على الخصائص الأولى، وعدم تنصُّلها منها، وتركها لها ولا سيَّما الذي نراه من استعمالها للمقاطع الصغيرة الصامتة ومن كثرة تعدد قواعدها التي ما زالت بقواعد بقيَّة اللغات، وهذه الخصائص والميزات التي تتمتَّع بها هذه اللغة تساندها من ناحية ثانية خصائص وميّزات لا نجدها فيما تبقَّى من الغات السامية ؛ ممَّا جعل الدكتور أحمد علم الدين الجندي يذهب إلى أن تسمية هذه اللغات باللغات الأعرابية، واعتمادا على أنَّ أصل هذه اللغات الجزيرة العربية، وأنَّ اللغة العربية أصل لها[٤] .

---

(١) اللغات السامية في مجال علم اللغات، مجلة اللسان العربي ١٩٧٠ / ٤٤ .

(٢) ينظر: فقه اللغة ١١، وفقه اللغات السامية ١٤٤ .

(٣) مولد اللغة ٣٢ .

(٤) ينظر: في القرآن الكريم والعربية ١١ .

١. وعلى هذا الأساس نعتقد أنَّ اللغة العربية هي الأمُّ للغات السامية وحجَّتنا في ذلك: أنه لم تُعرف لغة من لغات العالم سامية كانت أم غيرها بأنها تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في الحروف والمخارج العربية، فليس فيها حرف ملتبس بين مخرجين، ولا مخرج ملتبس بين حرفين[١] .

٢. أنَّ العربية لم نمتدَّ إليها يدُ التَّحريف ؛ لأن الله تعالى تعهَّد بحفظ هذه اللغة بحفظه لكتابه المجيد القرآن العظيم .

٣. ما ورد من الأثر الشريف من أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ قال : (أنا عربيٌّ والقرآن عربيٌّ وكلام أهل الجنَّة عربيٌّ)[٢] وإذا كان كذلك فالعربية هي الأمُّ ؛ لأنَّ الكلام بها كان وبها سيكون، والله تعالى أعلم .

- **ثانياً: أقسام اللغات السَّاميَّة**

قسَّم علماء الساميَّات لغاتها على قسمين : لغات سامية شماليَّة، وأخرى جنوبيَّة[٣] .

وتنقسم الشمالية إلى طائفتين : شرقية، وغربية .

- ويعنون بالشرقيَّة اللغات المتمركزة في العراق، وتسمَّى الأكادية، وتضم : البابلية، والآشورية .
- ويعنون بالغربية: اللغات المتمركزة في بلاد الشام، وتضم اللغات الكنعانية، والآرامية، ومنها : الأخلافية، والفينيقية والبونية، والعبرانية، والسريانية، والنبطية، والموابية، ، والأمورية، والأوغارينية، و لهجات أخرى محليَّة .

أمَّا الجنوبيَّة، فتتألف من اللهجات : العربيَّة والمعينيَّة، والسبئيَّة، والقتبانيَّة، والحِمْيَريَّة، والحبشيَّة (الجعزيَّة)، ومن لهجات أخرى محليَّة .

- **ثالثاً: ما تبقَّى من اللغات الساميَّة**

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافا كبيرا وواضحا، فمنها ما تتاح له الفرص فتنتشر في مناطق واسعة من الأرض ويتكلَّم بها عدد غير قليل من الأمم، كما هو الحال بالنسبة للانجليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة، ومنها ما تُسَدُّ أمامه المسالك، فيُكْتب له أن يظلَّ في منطقة ضيِّقة من الأرض يقتصر على فئة قليلة من الناس[٤]، ومنها ما يُطوى فلا يعود إلا شيئا من الماضي يُرى على النقوش .

واللغات السامية لم تنل جميعها الحظ الوافي للانتشار ؛ إذ منها ما عتا عليه الزمن، فصار تحفة أثريَّة

(١) ينظر: الأدب الجاهلي ٥٢ - ٧٥، والقرآن الكريم والعربية ١١ .

(٢) المقاصد الحسنة ٤٧ .

(٣) ينظر علم اللغة د علي وافي ٢٠١، ودراسات فيفقه اللغة ٤٩-٥٠ .

(٤) ينظر: علم اللغة علي وافي ١١٨ .

ليس غير، ومنها ما كُتِبَ له العيش لكن كانت معيشته ضنكا، ومنها ما استطاع أن يشقَّ طريقه بين الأمواج المتلاطمة من اللغات، ويواصل كفاحه، ليُكْتَبَ له الخلود ويعيش عيشة راضة .

فلم يتبق من اللغات السامية إلا : العربية، والعبرانية، والسريانية، والحبشية[١].

وقد كانت البابلية، والأكادية، والأرامية، والكنعانية، والتدمرية، والسبائية تمثِّل الأقوام السامية الذين تفرَّقوا إلى سوريا والعراق وفارس وفلسطين ولبنان، وشمال افريقيا[٢]، وكانت تُكتَب وتُقرَأ بالحروف التي ابتدعوها، واتَّفقوا عليها، فكان لكلَّ واحدة من هذه اللغات لهجاتها التي تتميَّز بها عن أخواتها .

- **أماكن وجود ما تبقى من السامية**

١. العبريَّة : انحسرت في بقايا بني اسرائيل، بحسب العوامل الزمنيَّة، والسياسية، والثقافية .
٢. السريانيَّة : انحسرت في بعض القرى التي يقطنها بقايا الآشوريين في العراق ن وبعض قرى لبنان وسوريا و إيران .
٣. الحبشيَّة (الأمهريَّة، والصوماليَّة، والحِميَريَّة) : انحسرت في أثيوبيا والصومال[٣] .
٤. العربيَّة : أمَّا العربية فقد كتب الله تعالى لها الخلود لما هيَّأ لها من أسباب أهمها الديني، فبعد أن اتسعت رقعة الدولة الاسلاميَّة وفُتِحَت الكثير من البلدان على يد أولئك الرجال الذين اشترى الله أنفسهم بأنَّ لهم الجنَّة، ودخل أقوامُ تلك البلاد الدينَ الأسلامي فاحتاجوا إلى فهم تعاليمه وتطبيق أوامره، وأوَّلها الصلاة، فلا تصح صلاة بغير قراءة سورة الفاتحة، ولا تُقْرَأُ الفاتحةُ إلا بالعربية ، فكان هذا الأمر دافعا ووازعا إلى أن يتعلَّموا اللغة الجديدة لغة الدين الأسلامي، ليربو عدد المتكلمين بها على المليار ونصف المليار تقريبا[٤] .

ومن الأسباب الأخرى التي ساعدت على دوام اللغة العربية : السياسية، والتجارية، والجغرافية، فبهذه العوامل استطاعت العربية أن تصمد بوجه عاتيات الزمن، وأن تخلد بخلود القرآن الكريم، وتدوم بدوامه .

- **رابعاً: القرابة بين اللغات الساميَّة**

إنَّ القرابة بين اللغات السامية وشيجة واضحة المعالم والترابط، وروابطها وهي أقوى وأشد من تلك التي تربط فروع اللغات الهندوأوربية[٥] .

---

(١) ينظر: عوامل تطور اللغة العربية وانتشارها، للدكتور عبد الرحمن الكيَّالي، مجلة اللسان العربي ٧٩ .
(٢) ينظر: فصول في فقه اللغة ٢٠ -٢٨، وفقه اللغة ٢٦ - ٣٣، وأبحاث ونصوص فيفقه اللغة العربية ١٢٥ - ١٣١ .
(٣) ينظر: عوامل تطور اللغة العربية وانتشارها، مجلة اللسان العربي ٧٩ .
(٤) ينظر: علم اللغة د علي وافي ٢٠٥ .
(٥) ينظر: دراسات في فقه اللغة ٤١ - ٤٦، وتاريخ اللغات ١ / ٢٢٥، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل ١٥ .

وقد أدرك الباحثون ولا سيَّما المستشرقون تلك الوشائج التي تربط ما بين اللغات وأشاروا إليها بصلة القربى التي تجمع شملها[١] .

وسنوضح هذه القرابة إن شاء الله بمجموعة من الظواهر التي تشترك بها اللغات السامية .

١- التنوين والتمييم .

النون والميم حرفان موجودان في اللغات السامية جميعا، فإذا وُجِدَ لأحدها نظير فليس مرد ذلك إلى ضياع الثاني، لأننا نجده في الوقت نفسه في اللغة نفسها ، ولن نحمل الإبدال بينهما إلا على التطوّر الذي لا يكفي ذكره المجرَّد لمعرفة المتقدم من المتأخر.

والتنوين إلحاق نون ساكنة في آخر الاسم، وأمَّا التمييم فهو إلحاق ميم ساكنة في آخره[٢] .

والذي يعنينا أنَّ التمييم معروف في اللغات، فالأكدية القديمة تملك الميم بالمفردات، ويرد ذلك في نصوص حمورابي، لكن التمييم لا يقيِّد هذه النصوص بالتنكير[٣] .

والمثنَّى الأكدي ينتهي بالنون العربية، والجمع المؤنث ينتهي بالميم، ولا نجد التمييم أو التنوين في الأسماء العبرية والآرامية المفردة، لكننا نجد للميم آثارا في عدد من الكلمات العبرية مثل : خرطوم، وداروم ((الجنوب))، كما نجد له آثارا في الآرامية والسريانية، مثل يمَّا (فم)، وإيماما (يوم)[٤].

وفي الأوكاريتية لا نجد الميم إلا في نهايات الجموع المذكَّرة أو المثنَّى . أمَّا الحبشية، فإنها لا تمتلك تمييما أو تنوينا، ولكن المقطع (ان) في جمع المذكر السالم نستطيع أن نعدَّه في أحيان تنوينا[٥] .

والتمييم بقيت آثاره في بعض الصيغ، ويبدو أنَّه أقدم من التنوين، وقد بقيت في العربية آثاره بقلة حيث عوملت الميم فيها معاملة الحرف الأصيل بعد أن بعُد المهد عن استعمالها القديم، ومنها : شدهم، وشهرم، وانم، وشججحم، وحلقوم، والزنيم، وزرقم وبلعوم ...[٦]

وذكر الاستاذ عبد القادر المغربي أن قلب الميم نونا معروف في العربية، وذكر أمثلة على ذلك : دخشم

---

(١) ينظر: فقه اللغة ١٣ , وعلم اللغة علي وافي ١٩٧ - ٢٠٢ ، ودراسات في فقه اللغة ٤٨، فقه اللغة المقارن د ابراهيم السامرائي ١٤٨ .

(٢) الأدب الجاهلي بين اللهجات ١٦ .

(٣) ينظر: الأدب الجاهلي بين اللهجات ١٥ .

(٤) الأدب الجاهلي ١٦ .

(٥) ينظر: تحقيق مسألة لغوية، زيادة الميم في بعض كلمات اللغة، عبد القادر المغربي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق م ٣ ج٣ سنة ١٩٢٣ م، والتمييم والتنوين د رمسيس جرسيس ، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ج١٣ / ١٩٦١ م .

(٦) ينظر: شذا العرف ١٥٠، ومذكرة في التجويد ٢٠ .

ودخشن، وعمبروعنبر[١] .

والذي نعرفه هو العكس تماما، فالنون هي التي تقلب ميما ،إذا وقعت ساكنة وبعدها باءٌ وهو ما يسمى بظاهرة الإقلاب[٢]، وقد تقلب النون ميما شذوذا كما في البنام أصله البنان[٣] .

ويمكن أن يُنتَصر لرأي المغربي بأنه اعتمد على اللفظ فالكلمة لفظًا أسبقُ منها خطًّا، بمعنى أنَّ عنبر ونظائرها تلفظ بها العربي ميما ثمَّ كتبها نونا، فقُلبت الميم نونا، والله أعلم .

٢- المثنَّى

إنَّ التثنية في اللغة العربية هو إلحاق المفرد ألفا ونونا مكسورةً في حالة الرفع وياء ونون في حالتي النصب والجر، مثل: رجل، رجلانِ ورجلينِ، وتسقط هذه النون عند الإضافة، فتقول : رجلا البيت ورجلي البيت، ويفترض Wright قياسا على الحالات الإعرابية أن التثنية كانت تتسم بإلحاق واو ونون في حالة الرفع وألف ونون في حالة النصب وياء ونون في حالة الجر، وأنَّ هذه الحالات تقلَّصت إلى الاثنتين المعروفتين[٤] .

قال الدكتور هاشم الطعَّان : ((وقياسا على رأي رايت - لو صحَّ - يكون التزام الألف والنون في الحالات الاعرابية الثلاث تقلُّصا آخر))[٥] .

ويرى الدكتور ابراهيم السامرائي أنَّ هذه الظاهرة لغةَ قسم كبيرٍ من العرب، وهي معزوة إلى بني الحارث بن كعب وبني العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومراد وعذرة ويَفْتَرض أنَّ إلتزام الياء والنون في الحالات الثلاث لغة قبائل وجهات لم تنص المصادر على وجودها[٦] .

وبهذا يردُّ الدكتور ابراهيم السامرائي مزاعم رايت، والحق أن الذي زعمه رايت لم يكن إلا افتراضا إذ لا دليل على صحَّته .

ويظن حنفي ناصف أن ذلك اتساع في لغة هذيل التي تُمِيل المقصور[٧] .

أمَّا الأكدية فإن المثنى فيها يُلْحق بالمفرد (أن) في حالة الرفع، و (ين) في حالة النصب والجر[٨] .

---

(١) ينظر: تحقيق مسألة لغوية .

(٢) ينظر: شذا العرف ١٥٠ .

(٣) ينظر: الأدب الجاهلي ١٧ .

(٤) ينظر: الأدب الجاهلي ١٧ .

(٥) الأدب الجاهلي ١٧ .

(٦) فقه اللغة المقارن د ابراهيم السامرائي ٨٥ وما بعدها .

(٧) مميزات لغة العرب ٢٠ .

(٨) الأدب الجاهلي ١٧ .

إنَّ التمييز بين الحالات الإعرابية قد ضاع تدريجيًّا كما هو عليه في اللهجة العربية الدارجة اليوم، وفي الأكدية طغت (ين) على (أن)[١]، كما في العربية المحليَّة .

وتظهر اليوم الواو والنون ملحقة بالمثنى في البابلية الحديثة مما يدل على أن هناك خلطا بين الجمع والتثنية[٢] .

وفي الأوكاريتية غير المحرَّكة لا نستطيع أن نميِّز بين المثنَّى والجمع[٣] .

أمَّا العبرية فقد بقيت فيها آثار من التثنية لأعضاء الجسم المزدوجة وبعض المزدوجات الأخرى مثل : المقص، والسروال، وتكون بإلحاق ياء وميم[٤] .

أمَّا السريانية فلم يبق فيها من التثنية بإلحاق الياء والنون إلا ألفاظ قليلة مثل : ترين (اثنين) للمذكر، وترتين (اثنتين) للمؤنث[٥] .

وأمَّا المعينية فتكون التثنية فيها بإلحاق ياء بالمفرد ثمَّ زيد مدٌّ ونون قبل العلامة الأولى .

وأمَّا السبئية فإنَّ التثنية فيها تكون بأن يسبق الاسم الاسمَ المفرد لفظ (ثاني)، وإذا كان الاسم معرفة ألحِقَ بآخره (هان)[٦] .

٣- الضمائر.

أمَّا في الضمائر فهناك بعض الاشتراك بين هذه اللغات كما هو في أدناه[٧] :

اللغة	العربيَّة	العبريَّة	الأكدية	السبئيَّة
ضمير المتكلم	أنا	أنوفي، آتي	أناكو، أ	آنا
ض المخاطب	أنتَ، أنتِ	أتَّ، أتِّ	أتَّا، أتِّ	ــ
ض الغائب	هو، هي	هوَّ،هي	شو، شي	ه،هو،هوت،هي

والمكان الفارغ ليس فيه ضمير، لأنه مشترك .

---

(١) ينظر: الجموع في اللغة العربية ٢٠٧، ٢٠٨، والأدب الجاهلي ١٨ .

(٢) ينظر: الكنز في قواعد اللغة العبرية ٨٦، وفقه اللغة المقارن ٧٧ .

(٣) ٤٠ اللمعة الشهيَّة ١٥٧، والآداب السامية ٦٠، وفقه اللغة المقارن ٧٧، ودخيل أم أثيل للأستاذ عبد الحق فاضل، مجلة اللسان العربي ٢١، لسنة ١٩٧٠ .

(٤) ينظر: المختصر ١٣ .

(٥) ينظر: الكنز في قواعد اللغة العبرية ٨٦ .

(٦) الأدب الجاهلي ١٨ .

(٧) الأدب الجاهلي ٤١ .

المبحث الثاني

- **أولاً: خصائص اللغات الساميَّة**

اتسمت اللغات الجزرية بميزات خصَّتها عن غيرها وهي[١] :

١- أنَّ الأصل السامي يتألَّف في الغالب من ثلاثة أصوات ساكنة[٢] (غير لينة) مختلفة (ق ،ت، ص، ...)[٣]، لكن لكلّ وجه من هذه الوجوه شواذ كثيرة منها :

أ- أنَّ بعض الأصول السامية يتألف من صوتين فقط، مثل : قد، بل، هو، هي، مَن، ذا ...

ب- وبعضها يتألف من صوتين ساكنين مضعف ثانيهما مثل : تمَّ، ردَّ ...أمَّا الكلمات التي تبدو رباعية الأصول في العربية والعبرية فهي متفرعة في الحقيقة عن أصول ثلاثية مثل: دحرج، فإنها متفرعة من درج أو دحر.

ت- هناك من الأصول ما يتألف من صوتين ساكنين وصوت لين، مثل : قال، ووعد ...

٢- لا تكاد توجد في اللغات السامية كلمات تشتمل على أكثر من أصل واحد، على حين أن هذا النوع يكثر في اللغات الهندية الأوربية ولا سيما الحديث منها، وكل كلمة من هذا القبيل تدل على معنى مركب من معاني الأصول التي تشتمل عليها[٤] .

٣- أن للأصوات الساكنة في اللغات السامية أهمية تزيد كثيرا على أهمية أصوات اللين، ويبدو هذا في ثلاثة أوجه : الدلالة، والنطق، والرسم .

٤- ليس للفعل في معظم اللغات الجزرية إلَّا زمنان: ماضٍ وهو الفعل الذي انتهى، وفعل لم ينته زمنه سواء أكان للحال أو للاستقبال وهو المضارع أم دالا على الاستقبال وهو الأمر[٥]، ويستثنى من ذلك اللغات

---

(١) في هذه الخصائص ينظر: فقه اللغة لعبد الواحد وافي ١٢، فقه العربية د رمضان عبد التواب ٤٥، ٤٦، وفي الأصوات اللغوية ١١٧، وعلم اللغة العربية حجازي ١٣٩ .

(٢) وقيل : إن الأصل السامي ثنائي، وإن الثلاثي متفرع عنه ، ينظر: هل العربية منطقية، أبحاث ثنائية ١٤٥، وعلم اللغة علي وافي ٢٠٦ .

(٣) ذهب بعضهم إلى أنَّ الأصول السامية ثنائية لا ثلاثية، وأن الثلاثي فرع عن الثنائي، ينظر: هل العربية منطقية، أبحاث ثنائية السنية للأب مرمجي ١٤٥ - ١٥٠، وعلم اللغة علي وافي ٢٠٦، ٢٠٧ .

(٤) الأدب الجاهلي ٤١ .

(٥) علم اللغة علي وافي ٢٠٣ .

الأكدية، فإن للفعل فيها ثلاثة أزمنة[١] .

٥- أن تأنيث الاسم والصفة في اللغات السامية والحامية بإضافة تاء إلى المذكر.

٦- أن اللغات السامية تشابهت كذلك في كثير من المفردات، ولا سيما المفردات الدالة على اعضاء الجسم، والضمائر، وصلة القرابة والعدد، وبعض الافعال ومرافق الحياة الشائعة في الامم السابقة .

٧- لوحظ في بعض اللغات السامية نظام إعرابي دقيق تجلى في العربية والاكدية وبقيت آثاره في الأوكاريتية والعبرية[٢] .

ويرى عدد من العلماء أن الفعل قد تطور في اللغات السامية تطورا خطيرا استغرق قرونا طويلة، وأن ما نعرف من تقسيم الأفعال إلى ماض ومضارع، وأمر لم يكن معروفا على هذا النحو عند قدماء الساميين[٣] .

يتبين مما سبق توضيحه أن اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة الأم، الامر الذي مكنها أن تأخذ ما في اللغات السامية من مزايا، وتتجنب إلى حد بعيد كثيرا من المزالق، مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا العربية في الانفصال[٤]. فأفادت العربية من تطور السريانية والعبرية وما طرأ عليهما من تحوير فجاءت ناضجة ومكتملة أكثر من شقيقتيها، فكانت أكثر سعة واستقرارا .

- **ثانياً: خصائص اللغة العربية**

تميَّزَت اللغة العربية بميزات وخصائص جعلتها تشخص وتشمخ من بين أخواتها السامية ؛ ويرجع ذلك إلى عاملين أساسيَّين[٥].

أولهما : أنها نشأت في أقدم مَوَاطن الساميين.

وثانيهما : أن الموقع الجغرافي لهذا الموطن قد ساعد على بقائها حينا من الدهر متمتعة باستقلالها منعزلة عن العالم الخارجي، فالقدم والعزلة في صحراء متنائية الأطراف جعلا من العربية أُمًّا محتفظة بخصائص الفروع التي ترجع إليها، وإن اختلفت معها في غيرها، فأهم الخصائص التي احتفظت بها العربية وميزتها من غيرها هي[٦] :

---

(١) ينظر: نفسه ٢٠٢، ٢٠٣ .

(٢) ينظر: علم اللغة ١٥٦-١٨٧، وفقه اللغة على وافي ١٠ - ١٢ .

(٣) ينظر: تاريخ العرب قبل الاسلام ١ / ٢٢٢ .

(٤) ينظر: التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطورها، مجلة اللسان العربي ١٩٧٠ م، ص ٥١، وفقه اللغة على وافي ١٥٨ .

(٥) ينظر: التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطورها، مجلة اللسان العربي ١٩٧٠ م، ص ٥١.

(٦) ينظر: فقه اللغة حاتم الضامن ٥٥، وأبحاث ونصوص في اللغة العربية ١٦٢، وفقه اللغة علي وافي ٢١٠ .

١- ثبات الأحرف الأصلية في الكلمات المشتقة من أصل واحد، فأحرف (ض، ر، ب) مثلا، نرى أنَ جميع المفردات التي تشتق منها محتفظة بالأحرف الأصلية ،(ضَرَبَ، ضَرْبٌ، ضارب، مضروب، ، ضريب، ضرَّاب)، فضلا عن الاحتفاظ بالمعنى الأصلي، وهذه الخصيصة لا تكون في غير العربية[١] .

٢- أن النص العربي مهما تباعد عهده يمكن أن يُفْهَمَ في أيِّ زمن من الأزمان وفي أي وقت من الأوقات ولا أدلَّ على هذا من القرآن الكريم والشعر الجاهلي ؛ لمحافظة اللغة العربية على أصولها المتلئِبَّة ودلالات أصولها، بخلاف اللغات الأخرى التي تتسع الهوَّة بين نصوصها القديمة وبين ألفاظها التي انتهت منها بتطورها المستمر، مما يؤدي إلى جهل المعنى القديم أو الوقوع في خطأٍ جسيم فيحمَّل اللفظ القديم المعنى الجديد .

٣- وفرة كلماتها، فقد بلغ الصحيح في تاج العروس ٦٦٢٠٠٠٠ كلمة، والمعتل ٦٠٠٠ كلمة، وقد احتوى الكتاب ١٢٠٠٠٠ كلمة[٢] .

٤- أنها أكثر أخواتها احتفاظا بالأصوات السامية ؛ إذ اشتملت على جميع الأصوات التي حوتها أخواتها، وفَضُلَتها بأصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها، هي : (التاء، والذال، والظاء، والعين والضاد)[٣] .

٥- أن الأصل الواحد يتوارد عليه أكثر من معنى بتغيرات نزرة قد لا تتجاوز حركات أصواته في أكثر الحالات، كما في : كَتَبَ، مكتوب كاتب، كتابة ... . وهذا ما تفقده اللغات السامية الأخر.

٦- أن جمع التكسير يكاد يكون سمة خاصة بها، حتى أصبح للمفرد الواحد عدة صيغ في الجمع، كما في أسد : أسود، أُسْد، وآساد .

٧- وجود الاعراب في تراكيبها وعلاماته الفارقة لدلالات كلماتها وعلاقة كل مفردة بسابقتها أو لاحقتها من الكلمات في النص، وهدا النظام لا نظير له بين أنظمة الساميات إلا في بعض الآثار الضئيلة في العبرية والآرامية، والحبشية، بل حتى في اللغات الأخر[٤] .

٨- وجود المترادفات بصورة لا يمكن تصورها في لغة من اللغات سامية كانت أم غيرها، فقد جُمِعَ للأسد خمسمائة اسم، وللحية مائتا اسم، وللسيف أكثر من ألف اسم[٥]، وما غير ذلك من المفردات التي يجمعها معنى واحد .

---

(١) ينظر: عوامل تطور اللغة العربية، مجلة اللسان العرب ١٩٧٠ م ص ٨٧ .

(٢) ينظر مقدمة تاج العروس .

(٣) ينظر: القاموس المحيط ١/ ١٠٦٣ .

(٤) ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٤٢ - ٢٥٠، والوجيز في فقه اللغة ٣٩٤ - ٣٩٦ .

(٥) ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٤٢ - ٢٥٠، والوجيز في فقه اللغة ٣٩٤ - ٣٩٦ , وفصول في فقه اللغة ٣١٦ .

٩- وجود المشترك اللفظي في كثير من تراكيبها وسياقاتها، وهو ذلك اللفظ الذي يعتوره أكثر من معنى كما في لفظة العين مثلا، فهي تدل على العين الباصرة، والجاسوس، وعين الماء ...، وقد يعتور اللفظ معنيان متضادان فيكون من الأضداد كما في مأتم وجون، والتضاد ميزة لا تمتلكها بقية اللغات[1] .

(١) ينظر: فصول في فقه اللغة ٣١٦، وفقه اللغة ١٨١، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٤٢ .

المبحث الثالث

- **أولاً: المراكز التي تبلورت فيها اللغة الربية**

إنّ المراكز التي تبلورت فيها العربية هي اليمن والحجاز، أمَّا في اليمن فكانت اللغة العربية أكثر اتصالا بالأكدية والحبشية من أي لغة أخرى، علما أن الهجرات الجنوبية إلى الشمال والغرب أدت دورا بارزا في تأثير عربية اليمن في تلك المناطق .

أمّا في الحجاز فقد كان هناك تقارب بين العربية والعبرانية، على الرغم من أن لهجة الحجاز لم تكن لهجة عربية خالصة[١]، لكنها تأثرت إلى حد بعيد باللهجات أنفسها التي نشأت عنها العربية، ويمكن التعرف على هذا بشكل واضح من لهجة هذيل ولهجات اليمن[٢] وهكذا فإن الهجرات القحطانية والاحتكاك بالعدنانيين أدَّى إلى نشوء ما يسمَّى باللغة المشتركة[٣] .

وكان للهجرات اليمنية إلى الشام - بمساعدة عاملين مهمين هما : عدم وجود الحكومة العربية، ورغبة العرب بوجه عام في الحفاظ على الروح القبلية - كان لها الأثر في توسيع نطاق اللغة العربية بما شملته من تعدد المفردات للمعنى الواحد، وهو ما يعرف بظاهرة الترادف، على أن القبائل العربية كان لها لهجات خاصة من دون أن يكون لهذه الخصوصية عائق أمام التفاهم بينها[٤] .

ولم يقتصر الوجود العربي على شبه جزيرة العرب موطنا لسكناهم بل هاجر كثير منهم إلى البلاد المجاورة لشبه جزيرتهم قبل الاسلام بقرون، فكانت لهم صلات بمدنية الفرس والروم، فضلا عن الصلات التجارية في منطقتين مهمتين (العراق، والشام)، فكان لا بدَّ من دخول ألفاظ جديدة ذات علاقة بالحضارة والتجارة، أما لغة العرب فظلت مرتبطة بالجاهلية إلى حدٍّ بعيد بالمحسوسات وبما يقع شاخصا أمام بصر العربي .

- **ثانياً: أفصح اللهجات العربية**

لمّا كان قانون ((من يمتلك النفوذ الديني ويمتلك المال يمتلك النفوذ السياسي)) سائدا كان لقريش السيادة والزعامة على غيرها، لأن ذلك كان بيدها، وكان هذا مساعدا لها على أن تصهر جميع اللهجات

(١) ينظر: اللهجات العربية الغربية ٢٦ .
(٢) ينظر: فصول في فقه اللغة ٣١٦، وفقه اللغة ١٨١ .
(٣) ينظر: فقه اللغة ١٠٤ - ١٠٨، وعلم اللغة علي وافي ١٦٥، وفقه اللغة العربية ١١٦ .
(٤) ينظر: فقه اللغة ١٠٤، وفقه اللغة العربية ١١٦-١١٧ .

العربية في بوتقتها لتجعل منها لغة مشتركة[١]، وكان النصيب الأوفر من هذه اللغة لقريش[٢]، فهل صارت بهذا أفصح القبائل ؟ قال ابن فارس : ((أجمع علماؤنا بكلام الرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أنّ قريشا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة ؛ وذلك أن الله جلَّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب واختار منهم نبي الرحمة محمد ﷺ فجعلهم قطّان حرمه وجيران بيته وولاته، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها ورقّة لسانها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن اللغات وأصفى كلامهم ،فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلائقهم التي طُبِعُوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب))[٣] .

وجاء في المزهر: ((كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعا و إبانة عمَّا في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتُدي، وعنهم أخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتُّكِل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين ...))[٤] .

أمّا لغات من بعُد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان و إياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن تامة النقاوة لمخالطتهم الأعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل العربية[٥] .

وهناك روايات تصف لهجات أخرى بالفصاحة[٦]، قال الدكتور جواد علي : ((والقائلون بأنّ العربية الفصحى هي لسان قريش، متأثرون من كون الرسول من قريش وبأنّ القرآن الكريم نزل بين قريش، فهو إذن بلغة قريش ... أمّا أن الرسول ﷺ من قريش فهذا أمر مفروغ منه، وأما أن القرآن نزل بلسان قريش فمسألة فيها نظر، وقضية تحتاج إلى بحث، فلو كان القرآن بلسان قريش لم يسأل رجال منهم عن تفسير كلمات من كلام الله ...))[٧] .

---

(١) ينظر: ملامح من تاريخ اللغة العربية ٢٤، والصاحبي ٥٢ .
(٢) ينظر: ملامح من تاريخ اللغة العربية ٢٤ .
(٣) المزهر١ / ٢١٠، وينظر: الصاحبي ٥٢، والاقتراح ٥٦ .
(٤) المزهر١/ ٢١١، وينظر: الاقتراح ١٩، ٢٠ .
(٥) ينظر: المزهر١/ ٢١١، والنحو العربي مذاهبه وتيسيره ٢٩ .
(٦) ينظر: اللسان مادة قعن .
(٧) تاريخ اللغات ٢٣٨/١، وينظر: دراسة اللهجات العربية القديمة ٣ .

وقد ورد أن قريشا كانت أقل العرب شعرا في الجاهلية، فاضطرها ذلك أن تكون أكثر العرب انتحالا للشعر في الاسلام ؟

وورد أيضا أن العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء إلّا الشعر فإنها لا تقر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرّت له الشعراء أيضا ولم تنازعها .وقال السيوطي: ((في القرآن من اللغات خمسون لغة ...))[١]

يتضح لنا مما تقدم أنّ الفصاحة لم تكن حكَراعلى قريش وحسب، بل شاركها كثير من القبائل، وأن لغة القرآن لم تكن بلغة قريش فقط، بل كان معها كثير من اللغات، لأنّ القرآن عربيّ وليس قرشيا ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يُوسُف الآية ٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إِبْرَاهِيم الآية ٤] ، يدلّ على أنذ الرسول الكريم ﷺ من العرب ؛لأنّ قومه العرب وليس قريشا وحسب والله تعالى أعلم .

- **ثالثاً: أسباب انتشار اللغة العربية**

ويرجع ذلك الانتشار إلى عوامل عدة، منها :

١- الصراع الذي شهدته مع اللغات الأخرى، فكان النصر حليفا لها بعون الله، فدخلت اللغات تحت حكمها حتى بلغ عدد الناطقين بها الملايين، بعد أن كان لا يتجاوز الآلاف من الذي كانوا يقطنون في الجنوب العربي والشمالي من شبه جزيرة العرب[٢] .

٢- الهجرات الجماعية لقبائل العرب في العصور القديمة من اليمنيين والعدنانيين، وكذلك الفتوحات التي قام بها المسلمون، فكان من تأثير تلك الفتوحات والهجرات المتواليات وتلك الحضارة الشاملة انتشار اللغة العربية وازدهار فنونها وعلومها وآدابها ؛ لأن الذين هاجروا إلى تلك البلاد حملوا معهم الحضارة المشرقية الإسلامية، وتعاطوا التجارة والزراعة والصناعة ومتطلبات الحياة .

٣- انتشار الإسلام واعتناق الناس إياه دينا لهم[٣] .

٤- القرآن الكريم والسنَّة النبوية المُطَهَّرة .

فكان لهذه العوامل آثار جليلة من أهمها[٤] :

١- تقوية سلطان اللغة العربية .

٢- تهذيبها وتنقيتها والنهوض بها إلى أرقى مستوى للغات الآداب .

٣- اتساع الأغراض في الأجناس الأدبية .

---

(١) الاتقان للسيوطي ١٣٥/١ .

(٢) ينظر: فقه اللغة على وافي ١٢٣ .

(٣) ينظر: فقه اللغة علي وافي ٨٠، والعربية يوهان فك ١٢ .

(٤) ينظر:فقه اللغة علي وافي ١١٤ .

المبحث الرابع

- **أولاً:المصادر التي ترشدنا إلى ما تبقّى من اللهجات العربية .**

إنّ ما يرشدنا إلى ما تبقى من لهجات العرب ثلاثة مصادر :

١- القراءات القرآنية التي رُوِيَت عن أئمة القرّاء الموثوق بهم، والذين نُقِلَت إلينا قراءاتهم من طُرُقٍ لا يتسرب الشك إليها[١]، فقد رُوي عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال : ((إن جبريل أتاني فقال : إن ربك عزَّوجلَّ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلتُ : اللهم خفف عن أمَّتي ! ثمَّ عاد فقال : إن ربك عزَّوجلَّ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلتُ : اللهم خفف عن أمَّتي ! ثمَّ عاد فقال : إن ربك عزَّوجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف))[٢] .

٢- أما المصدر الثاني، فما رُوِي في كتب النحو واللغة والأدب والتاريخ من آثار تلك اللهجات، وهذا المصدر أقرَّبه المستشرقون أنفسهم[٣] .

٣- وأما الثالث من المصادر، فما عُثِرَعليه من نقوش، لاسيما المناطق التي هاجرمنها العرب[٤] .

ثانيا : مظاهر اختلاف اللهجات(٥)

إنّ الخلاف بين اللهجات مختلف الأنماط والأشكال كثير الجهات، فتارة يكون منبثقا عن اختلاف الحروف، وأخرى عن تباين الحركات، وثالثة عن اختلاف حركات الاعراب والبناء، وأحيانا يتعلق بالنبر الصوتي لنطق الكلمة، ويمكن حصرمظاهر اختلاف اللهجات بـ:

١. الابدال، ويشمل ابدال حرف من حرف، وحركة من حركة .
٢. التصحيح والإعلال .
٣. التردد بين الإعراب والبناء .
٤. الاختلاف في الإعراب .

---

(١) ينظر: اللهجات العربية في التراث ١٠٣-١١٤، ١٦٠-١٧٩ .

(٢) ينظر: رسم المصحف ٣٠ .

(٣) ينظر: اللهجات العربية الغربية لرابين ٢٦، ٢٩، ٤٥، والعربية ولهجاتها ٣٩، واللهجات العربية في التراث ١١٥-١٢٣ .

(٤) ينظر: اللهجات العربية الغربية ٢٣، وفصول في فقه اللغة ٥٠، والعربية ولهجاتها ٣٩، والمدونات العربية لما فبل الاسلام للدكتور جواد علي، مجلة المجمع العلمي العراقي م٣ ص١٩٦، سنة ١٩٨٠ م .

(٥) ينظر: العربية ولهجاتها٤٣، اللهجات العربية في التراث ١ / ٧٠-٧٥، وينظرمنه الباب الثالث والرابع والخامس .

٥. الزيادة والنقصان .
٦. الفك والإدغام .
٧. هيأة النطق، وتشمل الإمالة والروم والإشمام، والتفخيم، والترقيق ... وما غير ذلك من هذه الظواهر.
٨. دلالة اللفظ على معنيين، وهو المُشتَرَك والمُتَضَاد .
٩. القلب المكاني، وهو التقديم والتأخير في الحروف .
١٠. الترادف، وهو دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد .

ثالثاً: مصادر اللغة العربية الأساس :

ويمكن أن نستقيها من القرآن الكريم والشعر والأمثال والقصص[١].

أمَّا القرآن الكريم فقد كان مصدرا عظيما للغة العربية إذ أغناها بمصطلحات كثيرة بأسلوب جديد، وكثير من هذه المصطلحات والأساليب يرتبط ارتباطا وثيقا بالشريعة الاسلامية، والعقائد والعبادات، والمعاملات .

وقد حفظ القرآن الكريم عددا من الاستعمالات والأساليب التي أغنت النحويين واللغويين في الاستشهاد بها .

أمَّا الشعر، فمصدر بالغ الأهمية للُّغة، حتى قيل : لولا الشعر لضاع نصف اللغة، وإنما ظلَّ الشعر مصدرا للُّغة لسهولة حفظه وروايته، وقد حُدِّد الاستشهاد به بشرطين، الأول زمانيٌّ، والثاني مكانيٌّ .

وتقيَّدت بالشعر الألفاظ الغريبة والمعاني اللطيفة، وحفظ الرواة كثيرا من ذلك الشعر ودوَّنوه ورواه السلف عن الخلف واعتنوا به كابرا عن كابر.

وأمَّا الأمثال، فتُعَدُّ من المصادر الأصيلة للّغة العربية، وللعرب منها الشيء الكثير، وهي ذات أهميَّة بالغة من حيث ارتباطها اجتماعيا وأدبيا بحياة العرب، كما أن كثيرا منها يصلح تطبيقه على غير العرب من الأمم والأفراد، وهذا يدل سعة الفكر العربي وتعقيده لا بساطته .

وأمّا القصص - وهذا الأخير مرتبط بسالفه - فوراء كل مثل قصة، وقد حفظت لنا كتب الأمثال الكثير منها، ككتاب مجمع الأمثال للميداني، والأمالي للقالي، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني، والبيان والتبيين للجاحظ، زكذلك كتب الأخبار.

وخلاصة القول .. أن القرآن الكريم والشعر والأمثال والقصص كان لكلٍّ منها دور بارز في حفظ اللغة وتقويمها، غير أن جميع الدراسات اللغوية أثبتت بوضوح أن سبب نشأة اللغة العربية ونموها واتساعها

---

(١) ينظر: العربية ولهجاتها ٣٢، اللهجات العربية في التراث ١٠٣-١٣٤ .

وشمولها وتبلورها وتطورها وتقدمها على غيرها وبروزها بين اللغات السامية هو القرآن الكريم قبل غيره ؛ وذلك أن كثيرا من الألفاظ التي كان يرددها القرآن الكريم كانت مثار أسئلة المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ، ولعل أبرزها سؤلات نافع بن الازرق إلى ابن عباس (رضي الله عنهما)، وكان بين هذه الألفاظ ألفاظ غير عربية، فكان المعنى اللغوي يتعين فهمه قبل الإقدام على التأويل الشرعي، فنشأ عن ذلك العناية بتفسير القرآن الكريم .

واختلفت الروايات في قراءة القرآن، فنشأ علم القراءات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنحو واللغة والتشريع .

وإذا كان للقرآن الفضل في انتشار اللغة العربية بشكل لم تكن تعرفه لغة أخرى في العالم، فإن الموارد الأخرى التي استقى منها الرواة ودارسو اللغة الأوَّلون قد أدَّت بدورها خدمة للعربية لا تُنكر.

وإلى البصريين يرجع الفضل بطبيعة الحال في تحقيق اللغة وتمييز صحيحها من سقيمها وغريبها من مستعملها، وإن كان الكوفيون قد أسهموا بدورهم في هذا الميدان إلا أن مؤلفاتهم في العموم لم يُتح لها تأثير كبير من حيث الذيوع والانتشار[1] .

امَّا الحديث فلم يستشهد به عند القدماء إلا قليلا حتى جاء ابن مالك واعتمد الحديث النبوي شاهدا لغويا، فكان مصدرا آخر للُّغة .

ومن هذا نجد أن العربية بين أخواتها الساميات متألقةً، فأيُّ اللغات تتجلى عليها بكثرة موارد أو بكثرة خصائص وأساليب، وفائق اهتمام من أهلها وعلمائهم ؟

(١) ينظر: العربية يوهان فك ٥٩ .

الخاتمة

وفي النهاية توصل البحث إلى نتائج أهمها :

- يمكن عدُّ اللغة العربية أقدم اللغات السامية، وينبني على هذا أن الألفاظ التي عُدَّت غيرعربية في القرآن الكريم عربية، لأنها ذات منشأ عربي .
- إنّ احتفاظ اللغة العربية بخصائصها وميزاتها يمكن أن يسهم بشكل كبير وفعَّال في دراسة بقيَّة اللغات السامية، وكيفية تطور المفردات في اللغة العربية وفي غيرها .
- تعدُّد مصادر اللغة العربية جعلها الأوضح والأبرز بين بقية اللغات، وتعدُّد الموارد يحافظ على الأصل ؛ حيث إذا فقد واحد منها حل الثاني بديلا عنه .

مصادر البحث

١- القرآن الكريم مصدر العربية الأول .
٢- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، د رشيد عبد الرحمن العبيدي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد - العراق .
٣- الاتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، (ت ٩١١ هـ) وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، دار مكتبة الهلال .
٤- الآداب السامية، محمد عطية الأبراشي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٤٦ م .
٥- الاقتراح، للسيوطي، تح محمد علي البنا ١٩٧٦، القاهرة .
٦- تاج العروس، للزبيدي، محمد مرتضى، مط الخيرية، طبعة الكويت .
٧- تأريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي بغداد ١٩٥١، ١٩٥٨ .
٨- تأريخ اللغات السامية، ولفنسون - مط الاعتماد، مصر ١٩٢٩ م .
٩- تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي فخر الدين (٦٠٤ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.
الجموع في اللغة العربية، باكيزة رفيق حلمي، مط الأديب، بغداد، ١٩٧٢ م .
حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي، المكتبة الاسلامية، محمد زد منير، ديار بكر تركيا .
١١- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، المكتبة الأهلية ط٢، بيروت ١٩٦٢ م .
١٢- دراسة اللهجات العربية القديمة د داود سلوم، مط المكتبة العلمية، ط ١، ١٩٧٦ م باكستان .
١٣- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، د غانم قدوري الحمد، منشورات اللجنة الوطنية، بغداد ط١، ١٩٨٢ م .
١٤- شذا العرف في فن الصرف، لأحمد علي الحملاوي (ت ١٤٣٥هـ)، ط١٥، ١٩٦٤م، مط: مصطفى البابي الحلبي.
١٥- الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تح أحمد صقر، مط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧ م .
١٦- العربية، يوهان فك، ترجمة د رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠ م .
١٧- علم اللغة د علي عبد الواحد وافي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٣ ١٩٥٤ م .

١٨- علم اللغة العربية د فهمي حجازي، وكالة مطبوعات الكويت ١٩٧٣ م .
١٩- فصول في فقه اللغة د رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٧٣ م .
٢٠- فقه اللغة د حاتم صالح الضامن، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠ م .
٢١- فقه اللغة علي عبد الواحد وافي، ط٦، مطبعة نهضة مصر.
٢٢- فقه اللغة العربية د كاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٧ م .
٢٣- فقه اللغة المقارن، ابراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٩٧٨ م، بيروت .
٢٤- في القرآن والعربية من تراث لغوي مفقود د أحمد علم الدين الجندي، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، السعودية، ١٤١٠ هـ.
٢٥- الكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر، مط التجارية، مصر.
٢٦- لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور، مط دار صادر بيروت١٩٦٨ م .
٢٧- اللمعة الشهية، اقليمس يوسف داود، ط٢، ١٨٩٦ م، الموصل .
٢٨- اللهجات العربية الغربية القديمة، رابين، ترجمة عبد الرحمن أيوب، جامعة الكويت، ١٩٨٦ م .
٢٩- اللهجات العربية في التراث د أحمد علم الدين الجندي، مط الهيأة المصرية العامة .
٣٠- المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، اغناطيوس غويدي، القاهرة ، ١٩٣٠ م .
٣١- المزهر في علوم العربية وأنواعها، السيوطي، تح جاد المولى، والبجاوي، وأبي الفضل ابراهيم، ط٣، مصر، عيسى البابي الحلبي .
٣٢- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الشيخ شمس الدين بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢ هـ)، صححه وعلق عليه عبد محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٨٧ م .
٣٣- ملامح من تاريخ اللغة العربية، د أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للطباعة ١٩٨١ م .
٣٤- مميزات لغة العرب، حنفي ناصف، ط ٢، ١٩٥٧ /، مط جامعة القاهرة .
٣٥- مولد اللغة، الشيخ رضى العاملي .
٣٦- النحو العربي مذاهبه وتيسيره د مجد جيجان الدليمي، د محمد صالح التكريتي، د عائد كريم علوان الحريزي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد .
٣٧- الوجيز في فقه اللغة، للشيخ محمد الأنطاكي، منشورات دار الشرق، ط٢ .
٣٨- هل اللغة منطقية، أبحاث ثنائية، مرمجي الدونكي، ١٩٤٧ م .

٣٩- المجلات :

١- مجلة اللسان العربي، سنة ١٩٧٠ م، المغرب، م٧

أ- المقال الأول اللغات السامية في مجال علم اللغة، محمد سليم رشدان .

ب- المقال الثاني عوامل تطور اللغة العربية وانتشارها، عبد الرحمن الكيالي .

ت- المقال الثالث دخيل أم أصيل للأستاذ عبد الحق فاضل .

٢- مجلة المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٨٠م، م٣ ص ١٩٦، المدونات العربية قبل الاسلام د. جواد علي .

٣- مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، سنة ١٩٢٣ م، م٣ ،ج٣، تحقيق مسألة لغوية (زيادة الميم في بعض كلمات العربية .

مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٦٠ م، ج١٣، التمييم والتنوين، د رمسيس جرسيس .